خارطة الإدريسي : يعلوها الجنوب

احمد عبد الجبار المختبر

كنت كلما نظرت الى صورة الارض للادريسي ، العالم والعبقري العربي قفز في ذهني السؤال : لماذا رسم الادريسي خارطة العالم مقلوبة ، حيث جعل الجنوب الى أعلى والشمال الى اسفل ، على غير عادتنا المألوفة اليوم ؟ ويجيب اهل العلم والمعرفة أنه إنما فعل ذلك لتكون مكة المكرمة في القسم العلوي من الخارطة ذلك لعلو مكانتها في قلوب المسلمين . بيد أن موقع مكة المشرفة على خارطة العالم المعروف حينذاك لا يتبدل الا قليلا سواء وضعنا الجنوب الى اعلى أو الشمال ولم اقتنع بهذا التعليل .

وتتبعت ماوصل الينا من الخرائط العربية للارض المعمورة والاقاليم والبلدان لمن سبق الادريسي ومن جاء بعده فالفيتها جميعاً ، وبلا استثناء ، مرسومة على عكس ما الفناه .

فنحن نجد جهة الجنوب الى أعلى والشمال الى اسفل في صورة الارض التي نشرها الاستاذ ناجي زين الدين في كتابه « مصور الخـــط العربي »(١) ، ويذكر لنا انها مأخوذة من مخطوطة كتبت في القرن الخامس الهجري لكتاب « ذكر المسافات وصور الاقاليم » لابي زيد البلخي (المتوفى سنة ٣٢٢هـ) ؛ ويستفاد من

(١) وهو من مطبوعات المجمع العلمي العراقي ببغداد سنة ١٩٦٨م . انظر ص ٤٦ .

العبارة المدونة على هذه الخارطة : « من خزانة امير المؤمنين المأمون العباسي » انها صورة الارض التي رسمها الخوارزمي(١) (٨٢١م) للخليفة العباسي عبد الله المأمون (٨١٣–٨٣٣م) (٢) ، وربما كانت أول خارطة عربية للعالم المعروف في ذلك الوقت . وترك لنا العالم الفلكي ابو الريحان محمد بن احمد البيروني (المتوفي سنة ٤٤٠هـ –١٠٤٨م) صورة للمعمورة على عين الاسلوب السالف الذكر (٣) .

وقد نشر المستشرق الالماني كونراد ملار خارطة الادريسي ومجموعة خرائط عربية لحوض البحر الابيض المتوسط ، ومجموعة اخرى لبلدان المغرب العربي ومصر ، لابي زيد البلخي والاصطخري ، وابن حوقل ، والمقدسي ، واحمد الطوسي ، وابن سعيد ، وناصر الدين الطوسي ، نشرها في سلسلة من الكراريس (٤) تحت عنوان Mappae Arabicae (خرائط عربية) . وقام بمقارنة كل واحدة منها مع ما يقابلها من الخرائط الحديثة ، وبين ما بينها من اختلافات ، واغلبها طفيفة ، مما يثير الاعجاب والاجلال لهؤلاء الجغرافيين العظام وعلى رأسهم أبو عبد الله محمد ابن محمد بن عبد الله الادريسي الذي ولد في سبته سنة ٤٩٣هـ (١٠٩٩م) . درس في قرطبة ، وعاش كذلك قرب مدينة مراكش ، وكان مرة في قسنطينة (الجزائر) وفي عام ١١١٧م زار كهف اصحاب الكهف Seven Sleepers في افسوس Ephesus

(١) « واسمه محمد بن موسى واصله من خوارزم . وكان منقطعاً الى خزانة الحكمة للمأمون ؛ وهو من اصحاب علوم الهيئة. وكان الناس قبل الرصد وبعده يقولون على زيجية الاول والثاني ويعرفان بالسند هند ، وله من الكتب كتاب الزيج نسختين أو له وثانية ، وكتاب الرخامة ، كتاب العمل بالاسطرلاب ، كتاب عمل الاسطرلابات ، كتاب التاريخ» (ابن النديم : الفهرست . طبعة الاوفست ، بيروت ص ٢٧٤).

(٢) Konrad miller : mappae Arabicae : Arabischewelt - Und- lander karten Des q - 13 Jahrhunderts Stuttgart 1926. S.10

(٣) يجد القارئ هذه الخارطة في كتاب التفهيم لاوائل صناعة التنجيم لابي الريحان البيروني ، طبعة لندن سنة ١٩٨٤م وعلى الصفحة ١٢٤ .

(٤) انظر على وجه الخصوص : Konrad miller: mappae Arabicae Band 1. Heft 1 ; Islam - Atlas Nr. VI. Stuttgart. 1926. Und, mappae Arabicae Band II, Bei Heft, Islam - Atlas Nr III magreb Und Agypten, Stuttgart. 1926.

ومن المحتمل انه تجول في اصقاع آسيا الصغرى .وقبل عام ١١٥٤م زار لشبونة ومناجم الاندلس ، ولذلك يستنتج بعضهم انه شاهد سواحل فرنسا وانكلترة . دعاه ملك صقلية ، روجر الثاني ١١٠١–١١٥٤م إلى بلاطه بين عامي ١١٢٥ و ١١٥٠م ، وصنع للملك النورماندي قبة السماء وطبقاً يمثل العالم المعروف (١) كلاهما من الفضة ، فاغدق الملك عليه الهدايا والخلع وعينه رئيساً للجنة « جمع المعلومات الجديدة عن الارض المسكونة من خلال المشاهدة »وقد بعث الملك وخبيره الجغرافي (الادريسي) بالبعوث الى الاقطار المختلفة « ليشاهدوا ويسجلوا ويقوموا بوضع التصاميم » . فكان الادريسي يضيف المعلومات التي جاءوا بها الى الجغرافية الجديدة . وهكذا ، وبالتدريج ، تم انجازه المشهور « نزهة المشتاق » قبيل انقضاء شهر شوال سنة ٥٤٨هـ (– منتصف كانون الثاني سنة ١١٥٤م) . ويعرف هذا الانجاز العظيم بـ « الروجري » نسبة لحامي الادريسي وممونه . و « خارطة العالم للادريسي ، بالرغم من بعض المآخذ ، فانها لأفضل انجاز جغرافي للمسلمين في القرون الوسطى » واضافة الى « الروجري » فقد ألف الادريسي كتاباً آخر في الجغرافية ، ذكره ابو الفداء باسم « كتاب الممالك » ، بيد ان مؤلفه قد كان اسماه « روض الانس ونزهة النفس » وقد ألفه لاجل ابن روجر الثاني وخلفه ، وليام الاثيم William the Bad (١١٥٤–١١٦٦م) .

والناظر الى هذه المجاميع من الخرائط العربية لايجد أية واحدة منها تشذ عن القاعدة التي التزموا بها في الرسم ، وذلك بجعل جهة الجنوب الى أعلى وناحية الشمال الى اسفل .

---

(١) هناك صورة جميلة لخارطة العالم على هذا الطبق في :–

Encyclopaedia Britannica,Voi. 14. p. 840.

(٢) هذه المعلومات عن الادريسي مقتبسة من

Ency. Brit. Vol. 12. P. 72.

وقد وجدت ان ذلك لايقتصر على رسم الخرائط وحسب ، بل أنهم كانوا يرسمون صورة الجهات الاربع والجهات الثمان على هذا النحو ايضاً . فالعلامة البيروني مثلاً ، بعد ان يبين لنا كيفية تعيين الجهات الاربع بلغة علمية بسيطة وكأنها كتبت في ايامنا هذه ، نجده يرسم لنا ما يحصل عليه من نتيجة على النحو التالي (١)

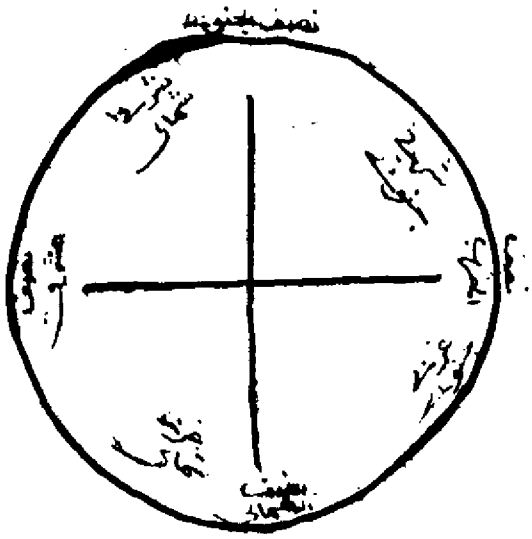

والامثلة من هذا النوع كثيرة ، اكتفي بالاشارة الى بعضها في كتب البيروني ففي كتابه التفهيم لاوائل صناعة التنجيم : انظر الصورة التي تبين سعة المشرق في الصيف وفي الشتاء (ص ١٢٩) ، والشكل الذي يوضح فيه كيف يطول النهار والليل في البلاد (ص ١٣٠) ، والتخطيط الذي يبين الاسطورة الفارسية في تقسيم المعمورة بين سـلم وايرج وطوج من قبـل أبيهم افريدون ، وآخر يبين كيف ان نوحاً عليه السلام قسم البلاد بين اولاده حام وسام ويافث ، والثالث الذي يوضح تقسيم الاغريق للارض المعمورة (وكلها في جدول واحد ص ١٤١) ، والصورة التي توضح دلالة البروج (الحمل ، الثور ، الجوزاء ، السرطان ، الأسد ،

(١) البيروني : كتاب التفهيم لاوائل صناعة التنجيم . طبعة لندن ١٩٨٤م ص ٥١ .

السنبلة ، الميزان ، العقرب ، القوس الجدي ، الدلو ، الحوت) على جهات العالم (ص ٢١٥) .

وبالرغم من أن البيروني نفسه يخبرنا بان الهند كانوا يعتقدون بعلو الشمال وسفل الجنوب — كما سنأتي اليه — فانه عندما يرسم تخطيطات الهند وجداولهم ، كان يضع الجنوب الى اعلى والشمال الى اسفل . وهذا مانشاهده في صورة الجهات الثمان عند الهند (١) ، والشكل الذي يبين اقسام اقليم هممنت (٢) ، والشكل الذي يسمى « راه جكر » ويعني شكل الرأس وهو في الاختيار للقمار بالجهات الثمان (٣) حيث يجعل البيروني « دكشن » (الجنوب) الى اعلى و« اوتر » (الشمال) في الاسفل .

يتضح من هذا كله ان وضع الجنوب الى اعلى والشمال الى اسفل في الخرائط والتخطيطات العربية كان تقليداً لايجوز مخالفته أو الخروج عليه ، فمن اين جاء هذا التقليد ؟

لاينكر ما كان للمسلمين الفرس من اثر في النهضة العلمية والثقافية العربية والتي نشطت وازدهرت في عصر الخلافة العباسية ، وخاصة بعد ان بنيت بغداد ، دار السلام ، في عهد الخليفة ابي جعفر المنصور . ولا بد ان يكون الخوارزمي ، مثلاً ، وهو اول من رسم خارطة عربية للمعمورة — كما اسلفنا — قد اتبع تقليد الفرس الساسانين في الرسم ، وذلك لاعتبارهم جهة الجنوب العلو وجهة الشمال السفل . فقد كان المجوس (الزرادشتيون) ولا يزالون حتى اليوم يتبعون هذا الاسلوب عند رسمهم للتخطيطات كما هو الحال في الشاهد الاتي (٤)

(١) البيروني : كتاب في تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة . طبعة حيدر آباد ١٩٥٨ ص ٢٤٨ ، كذلك في كتاب التفهيم ص ١٤٢ .
(٢) البيروني : في تحقيق ماللهند ص ٢٤٧ .
(٣) عين المصدر ص ٢٤٥ .
(٤) ابراهيم پور داود : و يسپرد . جاب تهران ١٨٤٨ شمس ص ٨٥ .

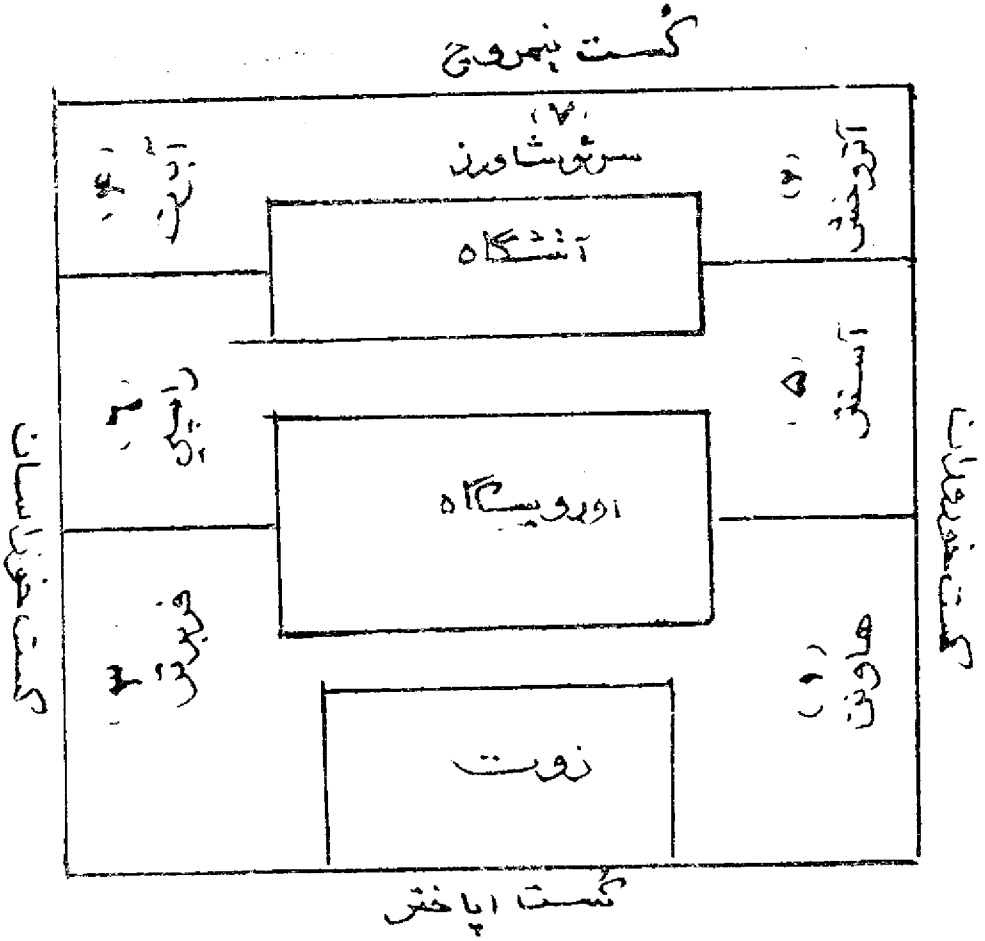

وتعني كست ينمروج ناحية الجنوب وكست خوراسان ناحية المشرق وكست اباختر ناحية الشمال وكست خوروران (١) ناحية المغرب .

وهذا هو تخطيط لمعبد النار وهو غرفة تحيط بها حجرات بيت النار (آتشكده) الاخرى حيث لايجوز ان تدخل معبد النار اشعة الشمس أو اشعة القمر ولا يجوز فيه تلاوة صلاة الشمس وصلاة القمر ولا الصلاة الخاصة بالهة الماء اناهيتا ؛ ونشاهد في هذا التخطيط موضع النار المعبودة (آتشكاه) ومحل الالات والادوات (اورويسكاه) والتي يستعملها الكهنة في طقوس عبادة النار كالهاونات والاواني والاقداح ومساند البرسم الهلالية الشكل . كذلك نشاهد فيه مواقع أئمة المجوس

(١) وردت اسماء هذه الجهات بالفارسية بشيء من التصحيف في كتاب المسعودي « التنبيه والاشراف » طبعة مصر ١٩٣٨م ص ٢٨ .

حسب درجاتهم ومراتبهم . فالزوت وهو الامام الا كبر يستقبل النار وناحية الجنوب أما الأئمة السبعة الاخرون فتنازل درجاتهم حسب الترقيم الموجود في الشكل . وكان هذا النظام مطبقاً في بيوت النار الكبرى في العهد الساساني ؛ أما اليوم فبيوت النار (١) في ايران صغيرة ويقوم بمراسيم عبادة النار فيها رجلان اثنان هما الزوت والراسبي(٢) .

العقيدة المجوسية في الكون

يقسم المجوس الكون الى قسمين اساسيين :

(١) عالم الخير والنور وهو مقام آلهة النور والخير وعلى رأسها اهورامزدا ، ويقع هذا العالم في القسم العلوي من الكون وهو ناحية الجنوب . ولذا فريح الجنوب — وخالقها أهورامزدا — هي الريح الطيبة والتي تأتي بنفحات هذه الآلهة وبركاتها للمؤمنين بالمجوسية !

(٢) وعالم الشر والظلمة وهو مقام آلهة الشر والظلام (الديوات) وعلى رأسها أهريمن ، ويقع هذا العالم في القسم السفلي من الكون وهو ناحية الشمال .

ولذا فريح الشمال — وخالقها أهريمن هي الريح الخبيثة والتي تأتي بنفثات الديوات (الشياطين) وشرورها لتؤذي المؤمنين المجوس (٣) !

---

(١) يسمى المجوس الحاليون بيت النار « درمهر » وتعني باب النور .

(٢) هناك معلومات وافية عن معاني الالقاب الدينية الواردة في التخطيط وطبيعة واجبات رجال الدين . انظر : پو داود : يشت ها جاب تهران ١٨٤٧ خورشيدي ، المجلدان الأول ص ٤٦٩ ، هامش ١ .

(٣) قارن هذا بعقيدة المانوية القائلة بان مملكة النور والخير تقع في ناحية الشمال وان مملكة الظلمة والشر تكون في ناحية الجنوب من الكون ، وان ريح الشمال هي الريح الطيبة وريح الجنوب هي الخبيثة . ولابد من التنويه بان ماني نبي المانية نشأ وترعرع في منطقة الاهواز القريبة من بابل (الحلة) في جنوب العراق ؛ بينما نشأ زرادشت وترعرع في آذر بيجان في الشمال الغربي من إيران . انظر : الشهرستاني : كتاب الملل والنحل . مصر ١٩٦١م . ج١ ص٢٤٥و٢٤٦ . بخصوص ناحية الجنوب والريح الطيبة انظر الأفستا هادخت نسك فصل ٢ بند ٧–٩ ؛ ومعراج المجوس فصل ٤ بند ٨ (ترجمة وتعليق كاتب المقال) وبخصوص ناحية الشمال وريحها الخبيثة انظر : الأفستا — اردیبهشت يشت بند ٩ ، وخردادیشت بند ٨ ، وندیداد فصل ٧ بند ٢ ، فصل٨ بند ١٦–١٨ وفصل ١٩ بند ١ .

وينقسم عالم النور الى طبقات اربع : الطبقة الاولى وتدعى طبقة النية الحسنة أو فلك النجوم وحفيظها هـــو الاله هومت Humata اله النية الحسنة . والطبقة الثانية وتسمى طبقة القول الحسن أو فلك القمر ورقيبها هو الاله هوخت اله القول الحسن . والطبقة الثالثة وتدعى طبقة العمل الحسن أو فلك الشمس وحارسها هو الاله هورشت Hvarashta . ورقيب هذه الطبقات الثلاث هو الاله آسمان (اله السماء) يعاونه بحراستها وادارتها الآلهة الثلاثة التي ذكرناها . اما الطبقة الرابعة وهي أعلى الكون في ناحية الجنوب فتسمى منطقة النور اللامحدود (أنيران) أو كرونمان (« كرزمان بالفارسية وقد عربت الى العرش) وتعنى دار التسبيح والرضـوان ؛ وتـدعى كذلك انكهووهشـــت Angho vahisht وتعني الحياة الفضلى ومنها كلمة بهشت الفارسية وهي الجنة والفردوس (١) .

أما عالم الظلمة فينقسم الى اربع طبقات ايضاً : الطبقة الاولى وتسمى طبقة النية السيئة والمسؤول عنها هو ديو النية السيئة « دوش مت Dushmata » . والطبقة الثانية (اسفل من الأولى نحو جهة الشمال) وتدعى طبقة القول السيئ وخازنها ديو القول السيئ «دزوخت Duzvakht» . والطبقة الثالثة واسمها طبقة العمل السيئ وخازنها ديو العمل السيئ «دزورشت Duzvarsht » . أما الطبقة الرابعة فهي طبقة الظلام اللامتناهي وتسمى « أنغر تمنكة Anghra Temangah أو « مان دروج» وتعني دار الكذب والظلالة وهي مقام أهريمن ووزرائه ؛ وتدعى كذلك « دزانكه Duzangah وتعنى دار الدمامة والقبح ومنها كلمة دوزخ الفارسية وهي الجحيم ، وخازنها ومالك زمام ادارتها هـو الديو انغرتمنكه ديو الظلام اللا محدود (٢) .

وهناك منطقة ثالثة بين العالمين تسمى بلغة الأفستا ميسوانه Misvana وبالفهلوية

(١) هذه الطبقات الاربع هي عينها طبقات الجنة عندهم . انظر أفستا – هادخت نسك فصل ٢ بند ١٥ ، ومعراج المجوس الفصل ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٢) وهذه الطبقات الاربع هي ذاتها طبقات الجحيم . انظر : الأفستا – هادخت نسك الفصل الثالث ومعراج المجوس الفصل السابع عشر .

« هميستكان (١) Hamistagan وبالفارسية برزخ . وتعنى هميستكان المكان المختلط وهو الذي امتزج فيه الخير والشر والنور والظلمة ؛ وكلما اقترب هذا المكان من عالم النور ازداد رجحان نوره على ظلمته ، وكلما اقترب من عالم الظلام ازدادت ظلمته رجحاناً . وقد كانت الارض جزءاً من مملكة الجنوب ، مملكة النور ،مملكة اهوارامزدا . ولكن اله الشر أهريمن وجنوده دخلت هذه المنطقة بعد ان انهزم اله النور وعسكره بعد المعارك الضارية التي جرت بين المعسكرين . ولم يجد اهورامزدا بدأ من عقد معاهدة صلح طويلة الأمد مع توأمه (٢) الشرير أهريمن ، يقدم له فيها تنازلات كبيرة في هذا الجزء من عالم الخير (٣) . بيد أن قوة معسكر اهورا مزدا بدأت بالتكاثر والازدياد منذ بعث زرادشت ، وتظل تستمر على الزيادة حتى يظهر في آخر الزمان أحد اولاد زرادشت وهو سوشيانت (مخلص المجوس المنتظر) (٤) فيطرد أهريمن وجنوده « ويحيي العدل ويميت الجور ، ويرد السنن المغيرة الى اوضاعها الأول »(٥)

النظرة العربية والاسلامية (٦)

اذا مادرسنا مفردات العربية وتعبيراتها المتعلقة بالجنوب والشمال فاننا لانعثر على مايشير لفكرة العلو والسفل صراحة . وكل مانستطيع استخلاصه فهو نظرة العرب الى ناحية الجنوب نظرة سعد وتفاؤل دائماً ونظرة نحس وتشاؤم الى ناحية

---

(١) هستكان اوبرزخ تطلق ايضاً على ما يسمى المطهر وتذهب اليه ارواح الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم .

(٢) تصف الأفستا كبير آلهة الخير ، اهورا مزدا ، وكبير آلهة الشر ، اهريمن بـ « التوأمين العظيمين » بيد انها تضمنت عن ذكر ابيهما ! انظر : يسنا فصل ٣٠ بند ٣ .

(٣) انظر الشروط الثمانية عشر في المعاهدة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ، ج ١ ص ٢٤٢–٢٤٣ .

(٤) ونديداد فصل ١٩ بند ٥ .

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٣٩ وهذا عينه في الأفستا– زاميادیشت بند ٩٨–٩٦ .

(٦) اقتبست المعاني والشواهد في هذا الموضوع من معجمي الصماح للجوهري طبعة بولاق ١٨٧٤ م وتاج العروس طبعة مصر ١٨٨٩م . انظر : جنب ، شمل ، يمن شأم ، يسر وعسر .

الشمال في الغالب الاعم . ولعل ذلك يعود الى واقعهم الجغرافي . فريح الجنوب تأتيهم بالدف حين يعضهم برد الشتاء الصحراوي وقد تأتيهم بالمطر فيمد حيواناتهم ومواشيهم بالعشب والكلأ . أما ريح الشمال فلا تأتيهم إلا بالسموم اللاهب صيفاً وبالقر المجمد شتاءاً .

قال ابو خراش الهذلي :

تـــكاد يـــداه تســـلمان ازاره

من القر لمـــا استقبلته الشمائـــل

وريح الشمال ما كان مهبه بين مطلع الشمس وبنات نعش وهو المعروف بمصر بالمريس وبالحجاز الأذيب (١) ولا تكاد تهب ليلاً واذا هبت سبعة أيام على أهل مصر أعدوا الاكفان لان طبعها طبع الموت باردة يابسة . قال الأصمعي : اذا جاءت الجنوب جاء معها خير وتلقيح واذا جاءت الشمال نشفت . ويقول العرب للاثنين اذا كانا متصافيين ريحها جنوب واذا تفرقا قيل شملت ريحها . وقال قطرب : سمي اليمن ليمنه والشام لشؤمه . وتَيَمَّن تنسب الى اليمن ، وأيمن الرجل ويمن ويامن اذا اتى اليمن . واليمن (بالضم) البركة ، وقد يمن فلان على قومه فهو ميمون اذا صار مباركاً عليهم ويمنهم فهو يامن ولذا سمي أهل اليمن الأيامن وتعني المباركين . قال الكميت يهجو قضاعة لانحيازها الى اليمن :

ورأت قضاعة في الأيا من رأى مثبور وثابر

والأيامن والميامين نقيض المشائم والمشائيم ، قال المرقش :

وقد غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم

فاذا الاشائم كالايا من والايامن كالأشائم

واخلاق مشمولة اي مذمومة سيئة ، نقله ابن السكيت في كتاب الأضداد عن ابن

(١) يعلق المرحوم الاب انستاس الكرملي وبخط يده (فهذه النسخة من تاج العروس كانت له وهي في مكتبة المتحف العراقي) فيقول : والاصح الازيب بالزاء .

الاعرابي وانشد :

ولتعرفن خلائقاً مشمولة ولتندمن ولات ساعة مندم

وانشد ابن الاعرابي : ولم أجعل شؤونك بالشمال ، اي لم اضعها موضع الشؤم . وطير شمال كل طير يتشائم به ؛ وجرى له غراب شمال اي مايكره كأن الطائر اتاه من الشمال . وتيمن به وبرأيه واستيمن اي تبرك به . والمشأمة الميسرة وكذلك الشأمة ، ويقال يافلان شائم باصحابك اي خذ بهم شأمة أي ذات الشمال . ونظرت يمنة وشأمة .

وتقول العرب رجل أعسر وامرأة عسراء ان كانت قوتهما في شمالهما ويعمل كل واحد منهما بشماله مايعمله غيره بيمينه . ورجل أعسر يسر اي يعمل بكلتا يديه (ولاتقل اعسر أيسر) وامرأة عسراء يسره أي تعمل بكلتا يديها . (يلاحظ ان أعسر من العسر والضيق والشدة تخص اليد الشمال وأن يسراً من اليسر واليسار واليسرى والغنى تخص اليد اليمنى) . فاذا دعى على امرأة قيل : أعسرت وآنثت اي عسر عليها ولادها ووضعتها انثى ، واذا دعي لها قالوا : ايسرت واذكرت اي وضعته ذكراً وتيسر عليها ولادها . وعسرني فلان وعسّرني (بالتشديد) جاء عن شمالي .

ولذلك أرى ان اطلاق اليسرى على اليد الشمال ولليسار على ذات الشمال كذلك الميسرة كان للتخفيف من التشاؤم الملازم لهما من باب تسمية الشيء بنقيضه ، كتسميتهم اللديغ بالسليم والاعمى بالبصير والموت بالتيمن ، ولا بد أن يكون ذلك في زمن متأخر .

ومن المحتمل أن اليمن واليمين والميمنة كانت تعني في الاصل الجنوب ، وهذا ماتشير اليه كلمة « التمنى (وهو) افق اليمن » (١) (اي ناحية الجنوب) حيث

---

(١) الصماح : مادة يمن

نلاحظ ان كلمة تمنى العربية قريبة جداً من شقيقتها السريانية تيمنا Teyamna وتعني الجنوب (١) .

وظلت الشمال تعني ريح الشمال وناحية الشمال بالرغم من ملازمتها ليد الشمال وذات الشمال وخاصة بعد ان اطلق على الاخيرتين اليسرى واليسار والتياسر حيثما اتجه المرء ، بينما اقتصر استعمال يمين على اليد اليمنى وذات اليمين حيثما اتجه الانسان ؛ مما جعل معنى الجنوب فيها غامضاً . وهذا الغموض جعل العلامة البيروني يعتقد أن « العرب نسبوا الجهات الاربع الى مهاب الرياح منها » (٢) ، . . . ومهب الجنوب من مقابلة القطب وهو يمين من استقبل المشرق ولذلك سميت هذه الجهة جنوباً » (٣) . وهذا العمري هو مايشبه وضع العربة قبل الحصان ــ كما يقول المثل الانكليزي ــ كذلك كان الغموض هذا هو سبب تخبط ياقوت حين عقب على قول الشرقي « انما سميت اليمن لتيامنهم اليها (الى الكعبة) ، فقال : (وهذا) فيه نظر لان الكعبة مربعة فلا يمين لها ولا يسار ، فان كان اليمين عن يمين قوم كانت عن يســـار آخرين ، وكذلك الجهات الاربع إلا أن يريد بذلك من يستقبل الركن اليماني فانه أجلها فاذا يصح والله اعلم » (٤) فالركن اليماني وهو الركن الجنوبي هو أجل اركان الكعبة ــ كما يظهر من عبارته الاخيرة .

ويحدثنا الازرقي عن اهتمام الرسول (ص) والصحابة والتابعين رمن جاء بعدهم بالركن اليماني الذي يضاهي بسمو مكانته الركن الاسود(وفيه الحجر الاسود المقدس) ولا نجد سبباً ظاهراً لذلك سوى موقعه الجنوبي وحسب ، مما يشير الى فكرة عربية قديمة بتفضيل الجنوب على بقية الجهات . ويروي لنا الازرقي بعض الاحاديث النبوية الشريفة ــ ان كان قالها صلى الله عليه وسلم ــ تشير الى اهمية الركن

(١) البيروني : كتاب التفهيم ص ٤٩
(٢) البيروني في تحقيق ماللهند ص ٢٤٢
(٣) البيروني : كتاب التفهيم ص ٤٩ .
(٤) تاج العروس ج ٩ ص ٨٧١.

اليماني (الجنوبي) . ومنها : عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله (ص) : ما مررت بالركن اليماني الا وجدت جبريل عليه قائماً . (١) وعن عطاء ، قال : قيل يارسول الله رأيناك تكثر استلام الركن اليماني ، قال : فقال : ان كان قاله ما اتيت عليه قط الاّ وجبريل قائم عنده يستغفر لمن استلمه (٢) .وعن مجاهد قال : ما من انسان يضع يده على الركن اليماني ويدعو الا استجيب له قال : وبلغني ان بين الركن اليماني والركن الأسود (ويسمى هذا الجدار الشق اليماني) سبعين الف ملك لا يفارقونه ، هم هنالك منذ خلق الله سبحانه البيت (٣) وعن عبد الله بن الزبير عن ابيه انه قال : يابني ادنني من الركن اليماني فانه كان يقال : انه باب من ابواب الجنة (٤) .

وفي الفقه الاسلامي نلحظ تفضيل اليد اليمنى على اليد الشمال والقدم اليمنى على القدم اليسرى . ومعروف في الوضوء تقديم غسل اليد اليمنى على اختها اليسرى وكذلك القدم اليمنى . ويكون الاستنجاء باليد اليسرى لا اليمنى . وفي آداب دخول المسجد، مثلاً، يستحب الدخول بالقدم اليمنى ومن بعدها القدم الشمال، ويستحب عكس ذلك عند الخروج منه . وليس من سبب لهذا — على مايبدو — الا التصاق معنى الميمنة والمشأمة بهما .

وينعت القرآن الكريم الذين يستحقون الجنة باصحاب الميمنة واصحاب اليمين ومن اوتي كتابه بيمينه ، ويصف الذين يستحقون النار باصحاب المشأمة واصحاب الشمال ومن اوتي كتابه بشماله . وواضح ان معنى الميمنة واليمين في التنزيل لا يختلف عما كان متداولاً عند العرب في مكة والمدينة قبيل وعند ظهور الاسلام ، فهو جهة اليمين حيثما اتجه المرء من غير ان يشترط فيه استقبال مطلع الشمس ؛ اللهم

(١) الازرقي : اخبار مكة ، الطبعة الثانية مكة المكرمة ١٩٦٥م ، ج١ ص ٣٣٨ .
(٢) عين المصدر .
(٣) عين المصدر ص ٣٣٩ .
(٤) عين المصدر ص ٣٣٨ .

الافي الاشياء الثابتة كالكعبة ، مثلا ، فيمينها يعني الجنوب ، وناحية اليمين تعني الجنوب كذلك ؛ كما أن جهة الشام هي الشمال دائماً . فمعنى الميمنة واليمين لايخرج عن كونه ممتزجاً بظلال اليمن والبركة والسعد والتفاؤل ، ومعنى المشأمة والشمال بادية فيه ظلال الشؤم والنحس والتشاؤم ، وليس في معنى الجنوب والشمال علو وسفل كما ذكرنا من قبل :

ولا يخرج المفسرون عن هذا . فاصحاب الميمنة (١) أو أصحاب اليمين (٢) « هم الذين يعطون كتبهم في ايمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين اي مباركين على انفسهم وكانت اعمالهم صالحة في طاعة الله وهم التابعون باحسان » (٣). واصحاب المشأمة (٤) أو أصحاب الشمال (٥) « هم الذين يؤتون كتبهم في شمالهم وقيل هم المشأميم على انفسهم وكانت اعمالهم في المعاصي لان العرب تسمى اليد اليسرى الشؤمى » (٦) .

ويذكر لنا المفسرون عن « عليين » المرتبطة بالابرار ، اصحاب الميمنة واصحاب اليمين في الآية الكريمة (ان كتاب الابرار لفي عليين) (٧) « عن البراء: ان عليين في السماء السابعة وقال عطاء عن ابن عباس هو الجنة وقال الضحاك سدرة المنتهى »(٨) التي كما جاء في التنزيل « عندها جنة المأوى » (٩) ؛ وعن « سجين » المتعلقة بالفجار اصحاب المشأمة واصحاب الشمال في الآية (ان كتاب الفجار لفي سجين) (١٠)

---

(١) سورة الواقعة آية ٨ ؛ البلد آية ١٨

(٢) سورة الواقعة الآيات ٢٧، ٣٧، ٣٨، ٩٠، ٩١ وسورة المدثر آية ٣٩ .

(٣) تفسير الخازن طبعة المكتبة التجارية بمصر ج٧ ص ١٣ .

(٤) سورة الواقعة الآية ١٠ .

(٥) سورة الواقعة آية ٤١

(٦) تفسير الخازن ج٧ ص ١٣

(٧) سورة المطففين آية ١٩، ٢٠ .

(٨) تفسير البغوي على هامش تفسير الخازن ج٧ ص١٨٤ ، .

(٩) سورة النجم آية ١٦ .

(١٠) المطففين آية ٨، ٩ .

« قال عبد الله بن عمرو وقتادة ومجاهد والضحاك: سجين هي الارض السابعة السفلى فيها ارواح الكفار . . .ويروى عن البراء قال : قال رسول الله (ص) : سجين اسفل سبع أرضين وعليون في السماء السابعة تحت العرش (١) .

يستفاد من هذا كله ان موقع الجنة والنار ليس في الجهات الافقية (الجنوب والشمال أو المغرب والمشرق) — كما هو عليه الحال في الفكر الايراني او الهندي وانما في الجهتين العموديتين ، السماء بعلوها العمودي وباطن الارض وهو السفل . والفكر العربي هذا يتساوق مع الفكر السامي بوجه عام . (٢)

وبعد هذا العرض الشامل نرى ان الفكر العربي والاسلامي لم يكن الخلفية التي بنى عليها التقليد الخاص برسم الخرائط العربية ، ولكنه ، في الوقت نفسه ، لم يكن مضاداً لذلك التقليد . وهكذا عثرنا في العقيدة المجوسية على حل هذا اللغز الذي غاب قروناً عن انتباه الكتاب العرب ، إذ لو كانو عرفوه لما تقاعسوا عن تسجيله وهم الذين دونوا لنا كل تعليل سواء كان معقولاً او غير معقول ؛ بل انه غاب عن المستشرقين حتى الذين اشبعوا موضوع الخرائط العربية بحثاً ودرساً مثل كونراد ميللر .

ولو رجعنا الى الخرائط الأوربية في القرون الوسيطة لوجدنا ما يعضد تعليلنا ويسانده ، وذلك بان سمت الخارطة يحتله الاتجاه الذي تقع فيه الجنة والفردوس .

الخرائط الاوربية في القرون الوسيطة (٣) .

وفي اوربا كانت الكنيسة تهيمن على الحياة الفكرية هيمنة تكاد تكون تامة ؛ ولم تكن لتشجع على التتبعات العلمية ، حيث كانت تخشى أن تنسف عقائدها الدينية وبنسفها يتحتم انهيار الكنيسة نفسها ، فكانت تسلط سيفها القاطع وهو

---

(١) تفسير البغوي على هامش تفسير الخازن ج٧ ص١٨٣ .

(٢) قارن نظرة البابليين : السماء للالهة والارض للاحياء والوادي السحيق لارواح الموتى .

(٣) اقتبست المعلومات حول هذا الموضوع من .

Ency Clopaedia Britannica, Vol. 14. P. 839.

« التحريم » على كل من يخالف عقيدتها باي شكل من الاشكال . ومن تلك العقائد — مما يهم موضوعنا — كون الارض المسكونة مستوية يحيط بها من جميع اطرافها اقيانوس عظيم ، وتقع مدينة القدس (اورشليم) في مركزها ؛ « هكذا قال السيد الرب ، هذه اورشليم في وسط الشعوب قد اقمتها وحواليها الاراضي . . . » (١) ؛ وان الفردوس تقع في اقصى الشرق . ولما كان أغلب المشتغلين برسم الخرائط من الرهبان الذين ، بطبيعة الحال ، لم يكونوا ليخالفوا ما نصت عليه كتبهم المقدسة ومن هنا نجد ان ناحية المشرق تحتل القسم العلوي من الخرائط في اوربا القرون الوسطى في جميع الاحوال .

وقد وصل الينا من هذه الخرائط صورة للعالم (٢) وجدت في كاتدرائية هيرفورد Hereford قد كان رسمها حوالي سنة ١٢٨٠م رجـــل اسمه ريتشارد من هولدنغهام Richard of Holdingham رسمها على شكل دائرة يحيط بها المحيط وفي طرفها العلوي جزيرة في ذلك المحيط ترمز الى موقع الفردوس اولعلها هي الفردوس ذاتها حيث كتبت فوقها كلمة Paradisus ، وفي مركزها على الساحل الشرقي (ورسم الى اعلى) للبحر الذي نسميه اليوم البحر الابيض المتوسط قد عين موقع اورشليم . وقطر هذه الخارطة ١٣٤سم (٥٣ إنجاً) وتشير الاسطورة الى ان يوليوس قيصر هو الذي أمر بهذا المسح .

وتوجد خارطة اخرى تشابه خارطة هيرفورد من حيث الاساس ولكنها اكبر اتساعاً حيث يكون قطرها ١٥٦سم (٦٠ إنجاً) ، لهذا فقد دونت عليها معلومات اكثر . عثر على هذه الخارطة في بيعة ابستورف Ebstorf في هانوفر Hanover عام ١٨٣٠م ويعود تاريخ رسمها الى سنة ١٤٨٤م .

وهناك خارطة ثالثة رسمت على شكل دائرة ايضاً يحيط بها اقيانوس وفي وسطها

---

(١) سفر حزقيال ، الاصحاح الخامس فقره ٥ .

(٢) صورة هذه الخارطة في . Eney. Brit. Vol. 17. P. 840.

بحر على هيئة الحرف T وقد كتبت اسماء الجهات الاربع على اطرافها . في الجهة العليا المشرق (Oriens) وفي الاسفل المغرب (Occidens) وعن اليمين الجنوب (Maridies) وعن اليسار الشمال (Septentrio) ومن المحتمل ، ان تكون هذه الخارطة بنيت على الاساس الذي نقشت بموجبه صورة الارض على طبق من فضة للملك شارلمان . وقد ذكر الشاعر ليوناردو داتي Leonardo Dati هذه الخارطة في قصيدة تحت عنوان الاسفير (Della Spera) عام ١٤٢٢م ، حيث قال : حرف T داخل الحرف O يبين التصميم .

Unu T dentre a Uno O mostrail desig no

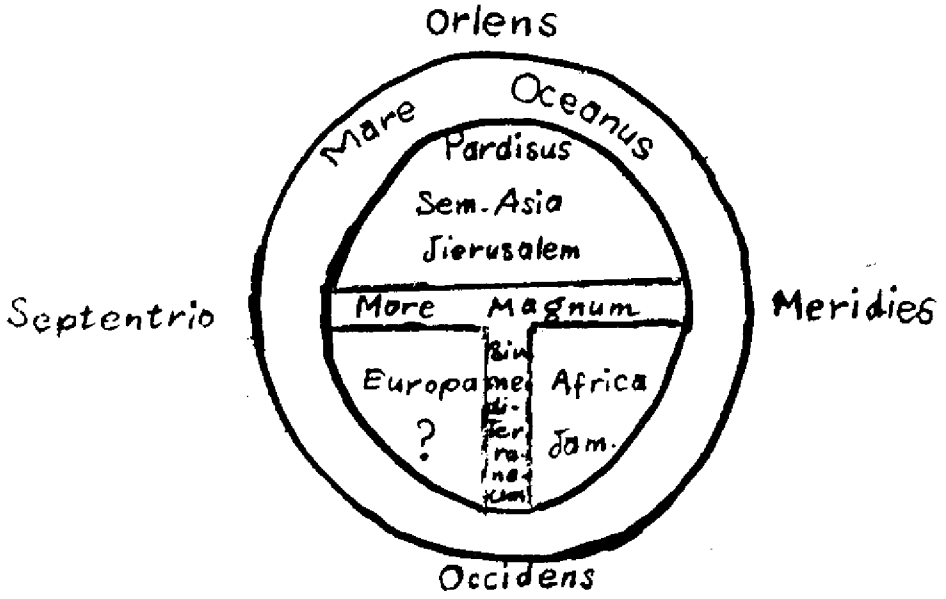

وهذا هو شكل الخريطة التي ذكرناها [1]

خرائطنا الحالية

أما التقليد الذي نألفه اليوم في رسم الخرائط ، وذلك بوضع الشمال الى أعلى والجنوب الى اسفل فانه يعود – برأيي – الى الرياضي والفلكي والجغرافي اليوناني بطليموس (كلوديوس بتوليموس الاسكندري Claudius ptolemaeus of

(١) انظر Eney. Brit. Vol. 14. P. 839.

Alexandria ويروى انه ولد في احدى المدن اليونانية من اعمال طيبة Thebaid وكل ما يعرف عنه بصورة اكيدة انه شـــوهد في مدينة الاسكندرية خلال حكم هارديان وانطونيوس بايوس بين عامي ١٢٧ و ١٤١ أو ١٥١ بعد الميلاد . وتقول الروايات العربية ان بطليموس بلغ الثامنة والسبعين من العمر ، وتعطينا تفصيلات كثيرة عن سماته الشخصية قد لاتستحق اهتماماً كبيراً (١) وقد ترجمت كتبه الى العربية في العصر العباسي الأول ، ومن بين هذه الكتب « جغرافيا في المعمور وصورة الارض . وهذا الكتاب ثمان مقالات ، نقل للكندي نقلاً رديّا ثم نقله ثابت الى العربية نقلاً جيداً (٢) » . وكان بطليموس مهملاً ومهجوراً من قبل الرومان خلال عهود سلطانهم ، بيد أنه ما ان عرف مرة في القرن الخامس عشر حتى اصبح معلماً للعالم الحديث . فقد نقل جاكوبس انجيلوس Jaeobus Angelus جغرافية بطليموس الى اللاتينية عام ١٤١٠م وطبقت هذه الترجمة لاول مرة في سنة ١٤٧٥م في فيسنزا Vicenza . وانكب عليها العلماء درساً وتمحيصاً قبل نشرها وبعده ، وادت دراستهم الى نتيجتين :

(١) إضافة خطوط الدرجات الى الخرائط

(٢) تصحيح رسم البلدان التي قد كان بطليموس رسمها بشكل غير مضبوط (٣) .

فاذا ما نظرنا الى خريطة بطليموس هذه (٤) وجدنا فيها الشمال الى اعلى والجنوب الى اسفل . ولا بد انه انتهج في ذلك نهج من سبقه من الجغرافيين اليونان ومعروف أن اليونان تأثروا كثيراً بفلسفة الهند وحكمتهم وعلومهم . ولهذا ، فليس

---

(١) Eney. Brit. Vol. 18. P. 734.

(٢) الفهرست ص ٢٦٨ ؛ وانظر Eney. Brit. Vol. 18 في الصفحة ٧٣٦ وما بعدها حيث يعقب على محتوى هـــذا الكتاب في اجزائه الثمانيـــة ويترجـــم عنوان الكتاب الى Guide to geography (دليل الجغرافية) .

(٣) Eney. Brit. Vol. 14. P. 838

(٤) انظر صورة هذه الخريطة في Eney. Brit. Vol. 14. P. 838

من المستبعد ان يكونوا قلدوا الهند في اعتبار الشمال العلو والجنوب السفل ومما يؤيد ما اذهب اليه قول البيروني بعد ان يبسط لنا عقيدة الهند في كروية الارض والادلة التي يوردونها لاثبات ذلك ، « فهذه اقاويلهم في كروية السماء والارض وما بينهما وكون الارض في وسط العالم بمقدار صغير جداً عند المرئي من السماء ، وهي مبادئ علم الهيئة التي يتضمنها المقالة الاولى من المجسطي (١) وما شابهها من سائر الكتب وان لم تكن بالتحصيل والتهذيب الذي نذهب اليه »(٢) .

عقيدة الهند

ودفعاً لما قد ينجم من لبس والتباس لابد من البدء بتحديد مفهوم كلمة « ديو » عند كل من الهند والمجوس . تعني « ديو » عند الهند الضياء والنور وتطلق على آلهة النور والخير عندهم (٣) . وأصل « ديو » Deve أو Dewa من الكلمة السنسكريتية دِوْ div وتعنى السماء ، وقد تخصص هذا المصطلح في الآداب المتأخرة الهندوسية والبوذية والجينيه ليعنى إله او نصف اله او الروح » (٤) اما المجوسية فقد قلبت مفهومها الى النقيض واطلقتها على آلهة الشر والظلمة (الديوات) . ولم تكتف بذلك ، بل انها حولت مجموعة من آلهة الخير الكبرى عند الهند ، وعلى سبيل المثال

---

(١) كتاب المجسطي من كتب بطليموس « وهو ثلاث عشرة مقالة واول من عنى بتفسيره واخراجه الى العربية يحيى بن خالد بن برمك ففسره له جماعة فلم يتقنوه ، ولم يرض ذلك ؛ فندب لتفسيره ابا حسان وسلم صاحب بيت الحكمة فاتقناه واجتهدا في تصحيحه بعد أن احضرا النقلة المجودين واختبرا نقلهم واخذا بافصحه واصحه وقد قيل ان الحجاج بن مطر نقله ايضا واما الذي عمله النيريزي واصلح ثابت الكتاب كله بالنقل القديم ونقل اسحق هذا الكتاب واصلحه ثابت نقلا غير مرضي لان اصلاحه الأول اجود ؛ (الفهرست ص ٢٦٧–٢٦٨) .

(٢) البيروني : في تحقيق ماللهند ص ٢٢٤ .

(٣) بورداود : يشت هاج ١ ص ١٣ .

(٤) Eney. Brit. Vol. 7, P. 281 . قارن المفهوم الهندي لديو في اللغات الاوربية ، زيوس Zeus كبير آلهة اليونان ، وديوس Deus كبير آلهة الرومان وديو Dieu وتعنى الله بالفرنسية و deity و divine بالانكليزية ويعنيان اله ومعبود ومقدس بينما كلمة devil وتعنى إبليس والشيطان تساير مفهوم المجوسي .

لا الحصر ، اندرا اله العوالم ، (١) فجعلتها آلهة شر تناوئ وتعادي آلهة الخير الكبرى عندها وابقت ناحية الشمال سكنا لآلهة الشر بعد ان اعتبرت هذه الجهة ناحية متسافلة . ويبدو لي ، أن المجوسية قلبت مفهوم كلمة « أسورا » التي كانت في الاصل نعتاً لآلهة الشر والابالسة عند الهند واطلقتها على « مزدا » كبير آلهتها فاصبح معناها السيد والمولى والعظيم والزعيم . . . الخ (اسورا ـــ اهوارا (٢) المجوسية ومثلها سوما ـــ هوما (اله الخمر) وذلك بقلب السين هاء (. كذلك جعل المجوس من ناحية الجنوب المتسافل عند الهند ناحية عليا تسكن فيها آلهتها النورية الخيرة .

وينقل لنا البيروني عن باسديو انه قال في كتاب كيتا : « الايمان والفضيلة من الروحانيين في ديو ولهذا صار من يجانسهم من الانس مؤمناً بالله معتصماً به مشتاقاً اليه ، والكفر والرذيلة في الشياطين المسمين « أَسُر » asura وراكشس ومن شابههم من الانس كان كافراً بالله غير ملتفت الى اوامره معطلاً للعالم عنه ، مشتغلاً بما يضر في الدارين ولا ينفع . . . ثم يضيف البيروني : فأما المشهور فيما بين الجمهور من اجناس الروحانيين الثمانية فهو ديو وهم الملائكة (الآلهة) ولهم ناحية الشمال واختصاصهم بالهند ، وقد قيل : ان زردشت ناكر الشمنية في تسمية الشياطين (الهة الشر والظلام) باسم اشرف صنف عندهم وبقي ذلك في الفارسية من جهة المجوسية ، ثم ديتَ داَنوْ وهم الجن الذين في ناحية الجنوب وفي قسمتهم كل من خالف نحلة الهند وعادى البقر وعلى قرب القرابة بينهم وبين الملائكة (كذا) زعموا : لاينقطع التنازع بينهم ولا تهدأ حروبهم (٣) .

---

(١) بخصوص جعل اندرا إله شر في المجوسية انظر : الأفستا– وندیداد فصل ١٠ بند٩ وفصل ١٩ بند ٤٣ ويستا فصل ٤٨ بند ١ .

(٢) تستعمل اهورا نعتاً لـ مزدا حتى اصبحت ملازمة له ، كذلك وردت اهورا لقباً للاله مهر والاله ابام نيات . انظر الأفستا : مهريشت بند ٢٥ و ٦٩ ويسنا فصل ٢ بند٥ . وتردا احياناً مع الاشخاص لتعني الأمير والقائد والجبار : يسنا فصل ٥٣ بند ٩ وبهرام يشت بند ٣٧ وآبان يشت بند ٨٥ وتير يشت بند ٣٦ وفروردين يشت بند ٦٣ .

(٣) البيروني في تحقيق ماللهند ص ٦٨–٦٩ .

ومن نتائج عقيدة الهند بان الشمال هو العلو والجنوب متسافل عنه أنهم كانوا يتصورون ان الكواكب في حركتها من الشمال الى ناحية الجنوب كانت « تمر اليها كالصبيان في الزحلوقات » (١) ، بينما تتباطأ سرعة حركتها من الجنوب الى الشمال لارتفاع هذه الناحية .

ويعتقد الهند ان نصف الارض « طين ونصفها ماء ، وجبل ميرو في نصفها اليابس مسكن « ديو » الملائكة (آلهة الخير) وفوقه قطب الشمال ، وفي نصفها المغمور بالماء تحت قطب الجنوب « بروامخ » وهو يبس كالجزيرة يسكنه (آلهة الشر من صنف « ديت »و« ناكث » اقرباءالملائكة (آلهة الخير)الذينفي ميرو(٢) ويعتقدون أن جزيرة « لنك » وتقع شرقي سرنديب ، وتعرف عند الكتاب العرب « قبة الارض » ،(٣) وهي مسكن الشياطين ايضاً ، « ويعتقد الهند المقاربون لتلك البقاع في الجدري انها ريح تنزعج من جزيرة « لنك » ايضاً نحو البلاد لاستلاب الارواح » (٤) « وبسببها وبسبب جزيرة « بروامخ » يتشائمون بجهة الجنوب ولا يعملون فيها شيئاً من اعمال البر ، ولا يخطون فيها خطوة نحوها وانما يجعلونها لإعمال الشر . » (٥)

واخيراً وليس آخراً ، يستفاد من الاسطورة التالية بان الجنة عندهم تقع في ناحية الشمال ، ذلك « أن ملكاً كان لهم يسمى « سومَدَت قد استحق الجنة بحسن اعماله ، لم يطب قلبه بنزع بدنه عن نفسه عند انتقاله فقصد « بسشت » الرشي واعلمه أنه يحب بدنه ولا يريد مفارقته ، فآيسه عن حمل البدن الارضي من الدنيا الى الجنة ، وعرض ايضاً حاجته على أولاد بسشت » فجبهوه ببزقهم وسخروا

---

(١) عين المصدر ص ٢٣٨ .
(٢) البيروني : في تحقيق ما للهند ص ٢٢٢ .
(٣) يجد القارئ صورة « لقبة الارض » وشرحاً لها في المصدر نفسه ص ٦١ وما بعدها .
(٤) المصدر نفسه ص ٢٦٣ .
(٥) المصدر نفسه ص ٢٦٢ .

به وصّيروه جندالاً مشنّف الاذنين بقرطق حديد ، فجاء الى « بشفامتر » الرش على تلك الحالة فاستفظعها وسأله عنها فاخبره بها وقص عليه القصة باجمعها ، فغضب امتعاضا له واحضر البراهمة لعمل قربان كبير واولاد بسشت فيهم وقال لهم : اني اريد ان اعمل عالماً آخر وجنة اخرى بسبب هذا الملك الصالح يبلغ فيها مشتهاه ، وابتدأ بعمل القطب وبنات نعش التي في الجنوب ، وخافه اندرا الرئيس والروحانيون فجاؤوا اليه متضرعين يسألونه إهمال ما ابتدأ فيه على ان يحملوا « سومدت » ببدنه كما هو الى الجنة وفعلوا ذلك . » (١)

احمد عبد الجبار المخيبر

(١) البيروني : في تحقيق ما للهند ص ١٩٧ .